رباعيات عثمان ...!

للأستاذ عثمان حامي

كم جبانٍ من الخيال يراعُ ... هو فى نفسه الجرىء الشجاعُ
فإذا جدَّ أى أمرٍ تبينْـ ... ـتَ جزوعاً خانت قواهُ الطباع
كيف أضحي وجه العبوس كوجه الـ
ـطفلِ هشاً والقلبُ وهو شعاع
هكذا تأخذ المظاهرُ بالأبـ ... ـباب أخذاً ويستقيم الخداع

هكذا ما استقام فى الأرض ظلٌّ ... أو تعزّى فى ظلها المستظلُّ
ما بنوها أقل ميناً ولا الأر ... ض على المين من بنيها أقلُّ
معدنٌ واحدٌ فلا ترج ما يرـ
ـوى الصدى من كذابهم أو يُعل
وتبسَّمْ ولا تملَّ فان الـ ... ـعاقل المستنير من لا يمل

أيها أبصرته مقلة رأى ... باطل فى بصائر الفهماء
فأرح فى الحياة نفسك ما اسطعـ ... ـتَ بما تستطيعُ من إغضاء
ما على الأرض لو تأملت خيرٌ ... لك من لقمة وجرعة ماء
وسوى ذاك باطلٌ أى بطلٍ ... وعناء ما بعده من عناء

أى حق ما لابسته الظنون ... ليت شعرى فأين أين اليقينُ
الذى كان ليس يدريه حيٌّ ... ومحال إدراكُ ما سيكون
حُلُمٌ هذه الحياة على الأر ... ض وسرٌّ لا ينجلى مكنون
ذلك السرُّ ليس يجلوه للأحـ
ـياء — لولا الضلال — إلا المنون

كل نفس لها لدى الفكر حق ... فالذى خلته هو الحق — حق
والذى خاله سواك هو الحـ ... ـق ، فمن منكما لعمرى أحق
شدَّ ما فى رأيكما من خلاف ... هو غربٌ وأنت فى الرأى شرق
ليس من يعرف الحقيقة فى الخلـ ... ـق برأىٍ ما فى ثناياه خرق

فعلام الجدالُ والاضغان ... وإلام الحقود والطغيانُ
نحن مهما تباين الرأى فينا ... واختلفنا فأصلنا الانسانُ
ما جرى فى عروقنا من دماء ... أو حوتْ فى صميمها الأبدان
واحدٌ ذلك التراب إذا ما ... حللته الأحداث والأزمان

كل حىٍّ فى الأرض أسعد حالا ... من بنى آدم وأسمى مثالا
فالحمار الذى حسبناه أشقى الخلـ ... ـق منّى ومنك ، أنعم بالا
فهو أنّى اغتدى على الأرض لم يجـ ... ـن على نفسه بخطء وبالا
ومع العقل يا ابن آدم تزدا ... د لعمرى حماقة وضلالا

نهض العلمُ بابن آدم نهضاً ... فسمى يبتنى سوى الأرض أرضا
ترك الأرض بعد أن دوّخ الأر ... ض وجاب السماء طولا وعرضا
وارتقى فيه كل شىء ولكن ... بقيت نفسه كما هى فوضى
وتقضى بعقله كل نقص ... غير نقص بنفسه ما تقضى

هذه النفس يا أخى كيف تصفو
إن حواها جوٌّ من الشر صرف
هى إبليس لو فطنت وفيها ... ملك حائر على الخير يهفو
وهى وحش من الوحوش ونسر ... بجناح على المحم يرف
لم يهذّبْ مر القرون طوايا ... ها فظلت من ضعفها تستخف

ملك النمل أمرها والجوع ... فهى طفل على الدهور رضيعُ
أيما أيقظا هواها فما ينـ ... ـفع فيها التثريب والتقريع
هكذا قام فى غريزته الأصـ ... ـل وقامت على الأصول الفروع
ما استطاع الإنسان حدَّ هواها ... لا ولا حدَّ شرِّها مستطيع

عجز العلم والنهى والدين ... والردى دون نقصها والسنون
فتأمل أيان كنت وأنّى ... شئت فالضعف جاثم والشجون
وفنون من الخصاصة والتعـ ... ـس وجمٌّ من الشقاء فنون
ودمٌ فى براءة مُهـ ... ـراق وغرم من كلِّ شرٍّ مصون

يا لها من حقيقة تتوارى ... خجلا والنفوس منها حيارى
فاذا ما تحجبتْ أسدل الليـ ... ـن على وجهها البغيض ستارا

وإذا ما تكشّفتْ لم ير المبـــصر فيما يراه إلا صغـارا
كم يرى النفس كيف لطخها الطيـــنُ وجُفّتْ حماقة وسَمَارا

كلنا لائمٌ فأين المـــلوم أين منا الأريب أين الحكيمُ
فالتمس للنفوس ما استطعت من عذ ر فما فى نفوسنا المعصوم
وتقبّل ما ساء منها وما سـرّ بقلب ما أثقلته الهموم
هكذا كانت النفوس فلا يُحـــزنك منها صحيحها والسقيم

لو ترانى والشر يطغى أمامى ودموعى يطغى عليها ابتسامى
لو ترانى عجبتَ لى كيف أمضيـــتُ حياتى فى راحة وسلام
فتأمل مع ابتسامك فى عصـــرى وكيف انقضت به أيامى
لو تأملتها كفتكَ كثيراً من تجاريب سادرٍ مغشام

كلمـــا زاد بالحياة اهتمامى واشتغالى زادت بها آلامى
وتبيّنت كلما مرّ يومٌ إثرَ يوم حقيقـــة الأيام
فالتجاريب علمتنى أن تذ عن نفسى فيها لغير مرامى
والقيود التى فُرضْنَ على الأحيـــاء فيها قوبلن باستسلامى

والســـلام الذى أراه أمامى كم تبينت فيه عكس السلام
غير أنى على مرارة سخرى لم أبح فى انتقاده بكلام
هذه حكمة الحكيم جناها عقله من تتابع الأعوام
من يُردْ هذه الحياة جحيما جاء من نفسه لها بضرام

أصبحت تشبه الحـــمامة نفسى
فهى تضحى على الهـــدوء وتمسى
حسبها السعى للقليل من الرز ق وحسبى الرضى به والتأسى
ثم حسبى أن لم أرق ماء وجهى لابن أنثى من ذى ثراء وبأس
وأرى فى الرضى أماناً من الهم وبرءا من كل غمّ وبأس

ولقد رُضتُ فى العواطف قلبى وتقلبتُ بين بغض وحبّ
ثم أصبحت لا أودّ ولا أقـــلى ولا يستقيم للعطف لُبّى
كل همى أن أبصر الخلق عن بُعـــدٍ على مسرح الخليقة قربى
ساخراً من مشاهدٍ تتوارى بين سهل من الأمور وصعب

ليس للحبّ والقلى أسبابُ أدركتها النفوس والألبابُ
حيّر العلم كل عقل ودون العـــلم عن حيرة القلوب حجاب
ربّ قلب أحبّ نفساً أساءتـــه ومن أحسنت يبغضُ تثاب
ذاك أمرٌ مثل المنية خافٍ جهل الشيب سرّه والشبابُ

كل ما فى حياتنـــا أوهام إن خبرت الحياة أو أحلام
فاسأل الغيبَ عن حقيقة دنيا نا تجبك النجوم والأجرامُ
وسل الكائنات عن منشإ العقـــل ومأوى النهى يجبك الرغام
واعتصم يا أخى بعجزك إن العـــجز فيه إذا ضللت اعتصام

كم سؤال لا ينتهى وجواب لم يكن فى هداك فصل الخطاب
فتبرّمتَ بالحيـــاة ولم ير ددك عقل إلى سواء الصواب
ما الذى يستطيع عقلك أن يفـــهم مما اختفى وراء الحجاب
ولعمرى ما الأرض فى الكون إلا
ذرة فى خضمّه الصخـــاب

عثمان حلمى

الأستاذ سيد قطب
يقدم كتاب :
كتب وشخصيات
يطلب من « دار الرسالة »
ومن المكاتب الشهيرة
وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد